

## نقاط على الحروف

ليس من السهل على غير المحترفين فهم ما يجري على الأرض اللبنانية، من تلاعب بالأزمة المزمنة التي بلغت ربع قرن من العمر وما زالت تنمو وتكبر برعاية مفتعلتها بعد أن عملوا على مضاعفة أبعادها السلبية في كل ميادين الحياة العامة والخاصة.

في الطائف فُرض على اللبنانيين أمر، ورُوِّج بأنه اتفاق، وتمّ وفقاً للمطالب السورية بدعم أمريكي وقبول إسرائيلي، ولأننا طلبنا توضيحه لجهة انسحاب القوات السورية وعودة السيادة إلى لبنان وضمان تنفيذه دولياً، اتهمتنا أمريكا بالتمرد وأعطت ضوءاً أخضر لسوريا لاجتياح المنطقة الحرة، كما رفعت إسرائيل خطوطها الحمر فسمحت للطيران السوري بالتحليق فوق لبنان وقصف مقر الرئاسة في بعبدا، وأزيحت السلطة الشرعية بالقوة. ومنذ ذلك التاريخ تقوم سوريا بدعم من أمريكا، إن لم يكن بطلب منها، بتعيين من تشاء في مراكز السلطة والنيابة، وقد أصبحت المؤسسات الدستورية ملأى بالدمى التي تحركها أصابع المخابرات السورية، بدءاً برئيس الجمهورية الذي يقول عن نفسه بأنه خيار أمريكي ترك لسوريا أمر الإعلان عن تعيينه، ثم تمّ التصديق عليه من قبل مجلس نواب وصل أعضاؤه من خلال مسرحية الانتخابات التي تعدّها المخابرات في أنظمة ٩٩،٩٩٪.

إن الفرقة، المؤلفة من الولايات المتحدة وسوريا وإسرائيل والحكومة اللبنانية والمقاومة، تقوم بلعب مسرحية دولية إقليمية ليس فيها من حقيقة الشعب اللبناني سوى ما يترتب عليه من نتائج مأسوية، فالحكم في لبنان لا يمثل لبنان، وهو جزء من المسرحية التي بدأت، كما أبرزنا منذ عشر سنوات، ويمثل في المفاوضات دور الكومبارس والحاجب، الذي يدخل إليها ويخرج منها بناء على إشارات، ولن يتغيّر هذا الدور بتغيير أعضاء الوفد المفاوض لأنه مُسند إليهم وليس من صنعهم.

ليس من الوهم أن يفكر اللبنانيون بأنهم يعيشون في دوامة المؤامرة، فالتناقض في المواقف الأمريكية، بين المعلن والعملي، يتخطى حدود المنطق البشري، فلا أحد يستطيع التخيل كيف أن أمريكا تدعم سيادة واستقلال لبنان في حين تدعم السيطرة السورية على لبنان مع إجراءاتها التذويبية لكيانه، كما تقبل وتساهم في جميع المناورات المكشوفة لتأمين استمرار وجودها، والمفاوضات بشكلها الحالي شكلاً ومضموناً قد تؤدي إلى هذا الاستمرار.

إن تضخيم دور حزب الله لإعطاء مبرر البقاء لسوريا في لبنان، وتكملة هضمه مع حكم لا يمثل شعبه، ولا يتحمل مسؤولية المفاوضات وإنهاء حالة الحرب، لا يؤسس لحالة سلام في الشرق الأوسط، بل على العكس إنه يُبقي فتيل النزاع مشتعل، وما يُحكى اليوم، عن نظام عالمي جديد لن يكون سوى نظام استعماري جديد. فأى نظام لا يقوم على احترام الحد الأدنى من الحق والعدالة لا يمكنه الاستمرار.

ومشكلة لبنان لا تقاس بحجمه، بل بما يرمز إليه هذا النظام العالمي الجديد، ومدى احترامه لحقوق الإنسان والشرائع الدولية، واحترام شمولية تطبيقها على يد الدولة الأعظم التي تحتكر لنفسها حق القرار.

فهل يمكن، في نهاية القرن العشرين، تصوّر الولايات المتحدة عرابة لدولة نظامها من مخلفات الستالينية، وجعلها منها وصية على الشعب اللبناني الذي يتوق إلى الحياة الديمقراطية ويسعى إلى تحرير أرضه.

ولو لم يكن لبنان عائشاً هذه الحالة لاعتقدنا أنها شائعة يُراد بها النيل من سمعة وكرامة الدبلوماسية الأمريكية.